الرجال (أى أخافهم) فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت، ثم اطلعتَ على ماهممتُ به مما لايعرفه أحد ، فعرفت أنك ممنوع ، وإنك على حق ، وإن حزب أبى سفيان حزب الشيطان ، فجعل النبى ﷺ يبتسم ، فخرج الرجل ولم يسمع له بذكر .

وبعث رسول الله عمرو بن أمية الضمرى ومعه سلمة بن أسلم أو غيره إلى أبى سفيان ، وقال أن اصبتما منه غِرّة فاقتلاه . فدخلا مكة ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلا ، فرآه معاوية بن أبى سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا فى الجاهلية ، فحشد له أهل مكة وتجمعوا ، فهرب عمرو وصاحبه ، ولقى رجلا من تيم فقتله وقتل آخر من بنى الديل ، وآخرين من قريش ، بعثتهما يتجسسان الخبر ، فقتل أحدهما واسر الثانى فقدم به المدينة ، فجعل عمرو يخبر رسول الله خبره وهو يضحك ، ثم دعا له بخير

أمر الحديبية

وبيعة الرضوان وصلح قريش

الحديبية . بئر أو شجرة أو قرية على مرحلة أو تسعة أميال من مكة غربا — وأكثرها فى الحرم

خرج رسول الله فى آخر سنة ست متعمراً لايريد حربا، لانه رأى فى منامه أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين ، محلقين رءوسهم ومقصرين ، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الاعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا : أن يعرضوا له

بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الاعراب ، فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن تبعه من البدو ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلموا أنه انما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له — وكان الناس سبعمائة ، أو أكثر إلى ألف وأربعمائة ، وهو أصح ، وكان ماساقه من الهدى سبعين بدنة ، ولم يخرج معه بسلاح ، الا سلاح المسافر ، السيوف فى القرب ، فلما كان بذى الحليفة قلّد الهدى وأشعر وأحرم منها بعمرة ، وبعث عينا له من خزاعة وهو بسر بن سفيان الكعبى — وسار رسول الله بالناس من الطريق الغربى حتى إذا كان بعسفان لقيه بُسْر فقال له : يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ، معهم العُوذُ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى (غربى مكة) يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها (والعوذ ذوات الالبان ، والمطافيل ذوات الاطفال) ، يريد النّوق أو النساء أخرجوهن معهم ، بأولادهم ، ليكون أدعى الى عدم الفرار — فقال له النبى : ياويح قريش! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابونى ، كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم ، دخلوا فى الاسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فو الله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به ، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ، (وهى صفحة العنق كنى بها عن الموت أو القتل)

ثم قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التى هم بها ؟ فدلهم

رجل من أسلم على الطريق الذى سلكوه ، وكان وعراً أجرل بين شعاب ، فلما قطعوه أمرهم رسول الله أن يسلكوا ذات اليمين فى طريق ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، فلما رأت خيلُ قريش أنهم قد خالفوا طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش منذِرين

وبركت ناقة رسول الله القصواء فقال الناس خلأت (حرنت) قال ماخلأت وماهو لها بخلق ؛ ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، ومناسبة ذلك التشبيه بقصة الفيل،إن الصحابة لو دخلوا مكة على هذا الحال،لسفكت دماء ونهبت أموال،كما لو قدر دخول أصحاب الفيل، ولكن سبق فى علم الله تعالى ألا يحصل شىء من هذا حرصا على فريق من أهل مكة أشار الله اليهم بقوله . ولولا رجال مؤمنون ، ثم قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لاتدعونى قريش اليوم إلى خُطّة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ؛ ثم زجرها فوثبت،ثم قال لصحبه انزلوا،فقالوا ما بالوادى ماء ؛ فدلهم على ناحية وطريقة حصلوا بها على الماء فشربوا وشربت إبلهم حتى صدروا عنه

ثم أن بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعى جاء رسول الله فى رجال من خزاعة وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ؛ ثم قال لهم نحو ماقال لبشر ، فرجعوا الى قريش وقالوا لهم : انكم تعجلون على محمد ؛ إن محمدا لم يأت لقتال،وإنما يأتى زائرا لهذا البيت،فاتهموهم وجبّهوهم وقالوا : وإن كان جاء لا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة ابدا ، ولاتحدث بذلك عنا العرب ابدا ، وكانت خزاعة عَيْبَة (موضع) نصح للرسول « كما سلف » مشركها وكافرها

لا يخفون عنه شيئا كان بمكة . والاصل فى ذلك أن بنى هاشم فى الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة ، فاستمروا على ذلك فى الاسلام .

وبعثت قريش الى النبى رجلا من بنى عامر بن لؤى فقال له النبى نحوا مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع الى قريش فأخبرهم .

ثم بعثوا سيد الاحابيش الحُليس بن علقمة ، فلما رآه الرسول قال ان هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فبعثوا واستقبلوه بالتلبية ، فلما رأى ذلك قال سبحان الله : ماينبغى لهؤلاء ان يُصدوا عن البيت ، ورجع الى قريش ولم يصل إلى الرسول إعظاما لما رأى ،فقال لهم : رأيت البُدن قد قُلدت وأُشعِرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ، فقالوا له : اجلس فما أنت الا أعرابى لا علم لك ، فقال : والله ما على هذا حالفناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتُخلنّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، (وهذا أول التخاذل) فقالوا له كف عنا ، حتى تأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى النبى عروة بن مسعود الثقفى ، فقال لهم : أسمعُ منكم ما أكره ، فقالوا ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج إلى النبى فجعل يكلمه فقال له نحوا مما قال لبديل ، فقال عروة عند ذلك : يامحمد أجمعت أوشاب (أخلاط) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، ثم قال وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ، فشتمه أبو بكر وقال . انحن نفر عنه وندعه ؟ فقال عروة من هذا ؟ قالوا : أبو بكر ، فقال أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت

لك عندى لم أجزك بها لأجبتك ؛ ثم جعل عروة يتناول لحية النبى وهو يكلمه ، وكانت من عادات العرب ، ولا سيما عند الملاطفة ، فكان رسول الله يغضى عن عروة ولا يمنعه استمالة وتأليفا ؛ وكان المغيرة بن شعبة يقرع يده اجلالا للنبى وتعظيما ، ويقول : أكفف يدك قبل ألا تصل إليك ؛ فشتمه فتبسم النبى ، وقال لعروة هذا ابن أخيك المغيرة ، ثم إن رسول الله كلمه بنحو ما كلم أصحابه واخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى مايصنع به أصحابه من الاخلاص والطاعة والمبادرة إلى تنفيذ مايشير به — فرجع إلى قريش وقال لهم أنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وانى والله ما رأيت مَلِكا فى قوم قط ، مثل محمد فى أصحابه ، وقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا ، فروْا رأيكم

ثم ان قريشا بعثوا أربعين أو خمسين رجلا وأمروهم أن يطيفوا بعسكر الرسول ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا أخذا . ولكن رسول الله عفا عنهم وخلى سبيلهم كرما وفضلا ، وبعد نظر وحُسْن سياسة ،

ودعا عمرَ بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشرف قريش ما جاء له ، فقال انى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدى ابن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفتْ قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى : عثمان بن عفان ، فدعاه النبى وأرسله إلى أبى سفيان واشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فخرج فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى

بلغ رسالة النبي فقالوا لو شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله ، فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي والمسلمين أن عثمان قتل ، فقال النبي لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت أو على ألا يفروا ، وضرب ﷺ ببده اليمنى على يده اليسرى ، وقال : هذه عن عثمان ، ولم يتخلف عنه إلا أحد بني سلمة — ثم أتى النبي أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل . وقيل أن المشركين سمعوا بهذه البيعة فبعثوا عثمان ورجالا من المسلمين كانوا معه ، وكانوا عشرة ، دخلوا باذن النبي أو فى جوار عثمان أو سرا ،

الهـــدنة

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو — أخا بنى عامر بن لؤى — إلى النبي وقالوا له ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً وجاء سهيل ، فلما رآه النبي مقبلا ، قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى إلى النبي تكلم فأطال ، ثم جرى بينهما القول حتى وقع الصلح : على أن يوضع الحرب بينهم عشر سنين ، وأن يؤامن بعضهم بعضا ، وأن يرجع النبي عنهم عامه هذا ؛ فلما التأم الأمر ولم يبق الا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال . اليس برسول الله ؟ قال بلى ، قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى ، قال فعلام نعطى الدنيّة فى ديننا إذا ؟ فطمأنه ، ثم ذهب الى النبي فقال له نحوا مما قال عمر ، فقال النبي أنا عبد الله ورسوله لن

أخالف أمره ولن يضيّعني . لم يك سؤال عمر وكلامه شكا ، بل طلبا لكشف ما خفي عليه ، وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام ، وهكذا كان شأن الصحابة عامة ، فقد استنكروا الصلح الا أبا بكر

ودعا رسول الله علي بن أبي طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل ، لا أعرف هذا ، ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب قبل ذلك ، فأمره الرسول بموافقته ، ثم قال اكتب : هذا ما صالح (أو قاضى) عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال النبي والله انى لرسول الله وان كذبتموني ، امحه ، فقال ما أنا بالذى أمحاه ، فقال أرنى مكانها ، فأراه مكانها فمحاه وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله سهيل بن عمرو ، على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطَة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، وعلى وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، وعلى أنه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، فقال المسلمون سبحان الله ! كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فقال رسول الله انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ، ومن جاء منهم الينا فرددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عَيْبَة مكفوفة (صدورا منطوية على ما فيها لا تبدو منها عداوة) وأنه لا أسلال (سرقة) ولا أغلال (خيانة) ، وأنه من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده دخل فيه ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه

فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد محمد وعهده ؛ وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ؛ وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ؛ وأنه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب . السيوف فى القُرُب لا تدخلها بغيرها .

وبينا رسول الله يكتب الكتاب اذ قدم أبو جندل بن سهيل يرسف فى الحديد ، قد انفلت الى النبى ، فقام سهيل فضرب ابنه وقال : يا محمد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال صدقت ؛ فجعل سهيل يجره ليرده الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته ويقول يامعشر المسلمين أُرَدُّ الى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد الناسَ ذلك الى ما بهم ، فقال له النبى اصبر أبا جندل واحتسب ؛ فانا لا نغدر ، وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ؛

ووثب عمر مع أبى جندل يقول له اصبر ؛ فانما هم المشركون ؛ وانما دم أحدهم كدم الكلب ؛ ويدنى سيفه رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه ، فضنَّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضية : وشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين

وكان الصحابة لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ما رأوا من الصلح . دخل على الناس من ذلك أمر عظيم . فلما فرغ النبى من الصلح قام الى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه . وتواثب أصحابه بعده فنحروا وحلقوا وقصروا ، ثم انصرف النبى بهم من وجهه ذلك قافلا ، بعد أن قضى بالحديبية بضعة عشر يوما ، وفى

نفوس بعضهم شيء من عدم الفتح ، حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : وفيها هذه القضية ،

وكان صلح الحديبية فتحا ما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، ظاهره ضيم وباطنه عز . انما كان القتال حيث التقى الناس . فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا ، وتمكن من كان يخشى الدخول فى الاسلام والوصول الى المدينة منه ، أختلط بعضهم ببعض من غير نكير ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة جهرة آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون الا خفية ، فلم يكلم أحد فى الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ـ ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ، يدل على ذلك أن رسول الله خرج للحديبية بالف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين لفتح مكة فى عشرة آلاف ، ويروى أن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كان اسلامهما فى هذه الهدنة .

والعجب فى أمر هذه الحديبيه أن تهادن قريش رسول الله وتطلب مصالحته ، وهذا دليل واضح على أنهم ضعفوا عن منازلة الرسول وصحبه ، مع أنهم أهل الدار والمنعة ، وقد بينه الله فى قوله (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) وفى الآية إشارة أخرى إلى أن حلفاء قريش فتروا عن مساعدتهم ، لطول مادعوهم للاستنصار بهم ، و هنالك سبب جيد لتعليل ماكان من مسارعة قريش إلى طلب الصلح ، وهو انها رأت أن حلفاءها من قريظة قد أصابهم ماأصابهم من رسول الله ، فأيقنت الهلاك ، وتمنت لو أن بينها وبين الرسول سلاماً ، وخافت

على قوافلها المترددة بين الحجاز والشام أن تكون عرضه لانتهاب المسلمين ، فيقع بهم من ضيق العيش مالا قبل لهم بدفعه ، لذلك كله عملت قريش على الصلح .

وبهذه المناسبة اذكر الاثر التالى : لما اقبل النبى راجعا قال رجل من أصحابه ماهذا بفتح ، لقد صُددنا عن البيت وصد هدينا ، ورد ﷺ رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه ، ـ فبلغه ذلك ﷺ فقال بئس الكلام ، بل هو اعظم الفتح : قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ، ويسألوكم القضية ، ويرغبون اليكم فى الامان ، ولقد رأوا منكم ماكرهوا ، واظفركم الله عليهم ، وردكم سالمين مأجورين ، فهو اعظم الفتوح ، انسيتم يوم احد ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، وأنا أدعوكم فى اخراكم ؟ انسيتم يوم الاحزاب ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ... ؟ فقال المسلمون : صدق الله ورسوله ، هو أعظم الفتوح ، والله يانبى الله مافكرنا فيما فكرت فيه ، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا

أما ماكان من مخالفة الرسول أصحابه فى الرأى ، بعد أن بايعوه على الموت واستعدوا لفتح مكة وبعد أن أظفرهم الله على المشركين ، وأسروا طليقتهم التى مَنَّ رسول الله عليها بالعتق ، فقد علل له الله تعالى فى قوله (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ـ الآية) أى لولا ذلك لما كف أيدى المؤمنين عن قريش ـ على أن الله سبحانه قد وعدهم فتح مكة فى فرصة أخرى إذ قال (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)

وقد أوفى رسول الله لقريش بما عاهدهم عليه ورد بعض المسلمين الفارين من عذاب أهل مكة اليهم دون المسلمات ، لاضعفا عن حمايتهم

ولاخوفا من قريش ، ولكن وفاء بالعهد إن العهد كان مسئولا ، واتباعا لسياسة المسالمة التى أمره الله بها فى قوله (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ورعاية للمصلحة المترتبة على اتمام هذا الصلح مما علمه النبى وخفى على غيره ، وتلك هى التى حملته على الموافقة ، حتى لايترك مافيه مصلحة للمسلمين ، إذ كانت عاقبة هذا الصلح فتح مكة ، واسلام أهلها كلهم ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، إذ لما اسلمت قريش أسلمت العرب

على أن فى رد المسلمين إلى مكة عمارة البيت وزيادة الخير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت العتيق فتأمل ، أما النساء فليس فى العهد مايتناولهن ، لأنه كان صريحا فى الرجال دونهن ، وأنزل الله فى أمرهن قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) الى آخر الآية ، وابى الله أن يردون الى المشركين ، ولذا أمسك النبى النساء ورد الرجال

غزوة خيبر

مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام ، وهى أربعة مراحل تقطع فى ثلاثة أيام ؛ وحديثها أنه لما عاد النبى إلى المدينة بعد هدنة الحديبية ، أقام بقية ذى الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج فى أواخر المحرم سنة ٧ إلى خيبر (وكان الله وعده بها وهو فى الحديبية) فى ألف وأربعمائة راجل ، معهم مائتا فارس ، ومعه أم سلمة زوجته ، وكانت الراية الى على بن أبى طالب ، ثم سلك الرسول على عِصر ، ثم على الصهباء ، ثم أقبل حتى نزل وادى

الرجيع ، ليحول بين غطفان وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا مظاهرين لهم على رسول الله

ولما سمعت غطفان بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة (مرحلة) سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم ، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله وبين خيبر

ونزل النبى خيبر ليلا فبات حتى أصبح ، فاذا اليهود قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوه والجيش ، قالوا : محمد والله محمد والخميس معه ، فأدبروا هرابا ، فقال النبى الله أكبر ، خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

وتدنى رسول الله الاموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح ، حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب النبى منهم سبايا منهن صفية بنت حيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق ، فاصطفاها الرسول لنفسه ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين

ثم جعل الرسول يتدنى الحصون والاموال حتى فتح حصن الصعب ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه — ثم انتهى إلى الوطيح والسلالم ، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصر من فيها رسول الله بضع عشرة ليله

وخرج مرحب اليهودى — وقد جمع سلاحه — وقال هل من مبارز ؟

فقال النبي : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قتل أخي بالامس ، فقال : قم اليه ودعاله ، فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه وكلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فَنَن ، ثم حمل مرحب على ابن مسلمة فضربه ، فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، فضربه محمد فقتله

وخرج ياسر أخو مرحب وهو يقول : هل من مبارز؟ فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله ، وأتى رسول الله بكنانة زوج صفية ، وكان عنده كنز بني النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فقال له النبي أرأيت ان وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال نعم ؟ ، وجاء رجل من اليهود فدل الرسول على مكان الكنز . فوجدوا منه شيئا فسألوه عن الباقي فأنكر ، وعذبوه فلم يقر ، فدفعه الرسول الى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود

ولما أيقن أهل الوطيح والسلالم الهلاك من شدة الحصار وطوله ، سألوا الرسول أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ففعل ، فنزلوا على ذلك ، ولما نزلوا طلبوا الى الرسول أن يعاملهم فى الاموال على النصف وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله على النصف مما يغلون منها ، وقال : على انا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم

فدك — ولما سمع أهل فدك بما صنعوا ، بعثوا الى رسول الله فسألوه أن يصالحهم على مثل هذا الصلح ففعل ، فكانت خيبر فيئا

القسم الشمالي من بلاد العرب
لبيان بعض الاماكن ومواطن بعض القبائل التي يرد ذكرها
في تاريخ الفتح الاسلامي
بقلم الشيخ محمد فخر الدين المدرس بدار العلوم
اسماء القبائل مكتوبة بالخط الفارسي
حلب
قنسرين
الرصافة
دمشق
بصرى
دومة الجندل
تبوك
تيماء
الحجر
خيبر
فدك
وادي القرى
المدينة المنورة
أيلة
الثعلبية
الحيرة
الأنبار
عين التمر
مدائن كسرى
نهاوند
الأبلة
الحفير
الكواظم
القطيف
جواثا
هجر
اليمامة
فارس

بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة للنبي ، اذ لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب ، يصرف النبي مما يأتيه منها على أبناء السبيل ، ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر فأجلى اليهود عن الحجاز

أما استبقاء اليهود في أموالهم يدبرون أمورها ثم يقاسمهم المسلمون ورسولهم على النصف ، فتدبير محكم الاطراف ، سِرُّه أن المسلمين لاغلمان لهم يقيمونهم على حرثها وزرعها ، بل ولا يستطيعون أن يقوموا مقام اليهود في مزاولة مايزاولون ، ولو أنه وكل اليهم القيام بذلك ماكانوا ليُغِلوا من هذه الاموال مايغله اليهود منها ، على أن الرسول في حاجة الى الرجال في ذلك الوقت ليدفع عن دعوته ماتتعرض له من الاخطار ، وعلى أن الرسول قد احتاط فجعل أمر اليهود اليه إن شاء أبقاهم وإن شاء أخرجهم

وفي خيبر أهدت زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية مسمومة إلى رسول الله ، فأكل منها هو وبشر بن البراء بن معرور ، فأساغ الاكل بشر فمات ، ولم يسغه رسول الله فنجا ، ثم جيء بالمرأة فاعترفت ، فقيل لها : ماحملك على ذلك ؟ قالت بلغتَ من قومي مالا يخفى عليك ، ففلتُ ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فَسَيُخبَرُ ، فتجاوز عنها ، وقيل أمر بقتلها لما مات بشر وهو الاصح ؛

ولما فرغوا من خيبر انصرفوا إلى وادى القرى فحاصروا أهليه أربع ليالى ، حتى أعطوا بأيديهم فافتتحه عنوة وغنمه الله أموالهم فقسمها في أصحابه وترك النبي النخل والارض في يدى أهل الوادى ، وعاملهم نحو ماعامل أهل خيبر ، فبقوا كذلك إلى أن أجلاهم عمر ؛ ولما علم أهل تيماء بذلك صالحوه على الجزية فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم

وقد شهد خيبر مع رسول الله نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن من الفيء ، ولم يضرب لهن بسهم ؛ وكن قد طلبن اليه أن يخرجن معه إلى خيبر لمداواة الجرحى وإعانة المسلمين بما يستطعن ، فقال لهن على بركة الله

ولما عاد رسول الله إلى المدينة جاء الحجاج السُّلَمي ، وقال له : ان لى بمكة أموالا فأذن لى ، فأذَن له ، فقال لابدَّ لى من أن أقول ، قال قل ، فلما ورد مكة ولم يكونوا قد علموا باسلامه ، وعلموا بمسير الرسول إلى خيبر ، سألوه فقال عندي من الخبر مايسركم ، فقالوا إيه ياحجاج ! قال هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان من رجالهم ، ففرحوا بهذا الحديث برمته ، فقال لهم : أعينونى على جمع مالى بمكة حتى أعود إلى خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ماهنالك ، فقاموا فجمعوه له

وسمع العباس الخبر فجاء إلى الحجاج فأخبره أنها خديعة ، قال وما جئت إلا لآخذ مالى ، فرقا من أن أغلب عليه ، ثم حدثه بالصحيح من أخبار الرسول فى خيبر وماحولها ، وقال له : أكتم عني ، فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ماتحب ، والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم ، يعنى صفية ، فلما انقضت الثلاث أخبر العباس قريشا فأسفوا وماأنشبوا أن جاءهم الخبر بذلك

هذا أما غنائم خيبر فقد قسمت كما هى العادة فى قسم الغنائم ، وأما أرضها فقد قسمها النبي بين من حضرها ومن غاب عنها من أهل

الحديبية ، وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواجُ رسول الله ، وطعم رجالٌ مشوا بين الرسول وبين أهل فدك فى الصلح — وكان عدة الذين قسمت عليهم خيبر من الصحابة ألفاً وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم : الرجال ألف وأربعمائة ، والخيل مائتا فرس

قدوم جعفر ومهاجرة الحبشة

ويوم فتح خيبر قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة على رسول الله ، فقبله بين عينيه وأكرمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ وقدم معه عدد كبير من الذين كانوا قد هاجروا إلى الحبشة : لأن رسول الله بعث فيهم إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى ، فحملهم فى سفينتين فقدم بهم على النبي وهو بخيبر بعد الحديبية ، ومنهم خالد بن سعيد بن العاص وامرأته وابناه سعيد بن خالد وأمه بنت خالد ، وأخوه عمرو بن سعيد ، وأبو موسى الأشعرى وغيره ، وكانوا جميعاً ستة عشر رجلا

عُمرة القضاء

سميت بذلك لأن رسول الله قاضى قريشاً عليها أو بسببها ، لا لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها . فانها لم تك قد فسدت حتى يجب قضاؤها . وتسمى عمرة القضية ، وعمرة القصاص ، وعمرة الصلح

لما رجع رسول الله من خيبر إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجمادين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه سراياه ، ثم خرج فى ذى القعدة سنة ٧ مستعدا بالسلاح والمقاتلة ، خشية

أن يقع من قريش غدر ، ولكنه بقى على شرط ألا يدخل مكة بسلاح ، ولذلك لما أستوثق أخر السلاح مع طائفة من أصحابه خارج الحرم ، حتى رجع ، وكان خروجه من المدينة ، فى الشهر الذى صده فيه المشركون ، معتمرا عمرة القضاء ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع .

وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه ، وقدم محمد بن مسلمة فى الخيل حتى وصل الى مر الظهران فوجد بها نفراً من قريش ، فسألوه عن مجىء الخيل ، فقال هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله ، فأتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا ، وحلفوا بالله ما أحدثوا حدثا ، وأنهم على كتابهم ومدتهم ، وبعثوا نفرا منهم فلقوا رسول الله ورجعوا الى قومهم فقالوا لهم إن محمدا على الشرط ، فلما سمع أهل مكه خرجوا عنها الى رءوس الجبال ، لم يطيقوا الصبر على رؤيته يطوف هو وأصحابه بالبيت ، ودخل النبي راكبا ناقته من الثنية التى تطلعه على الحجون وهو يلبى حتى وصل الى الركن فاستلمه ، وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه مشاة

وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة ، وصفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه وإلى أصحابه ، فلما دخل الرسول المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ، وقال رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه — وأقام النبي بمكة ثلاثا تزوج فى خلالها وهو محرم ميمونة بنت الحرث الهلالية ، فجاءه حويطب بن عبد العزى فى نفر من قريش قد وكلته باخراج النبي من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج

عنا ، فقال لهم : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه ؟ فقالوا . لاحاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا ، فخرج النبي وانصرف إلى المدينة ، فأنزل الله عليه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . الآية)

غزوة مؤته — وهى من أرض البلقاء بالشام ، وكان غزوها فى جمادى الأولى سنة ثمان ، وسبب ذلك أن رسول الله كان أرسل الحرث ابن عمير الازدى بكتاب الى ملك بصرى من قبل هرقل ، وهو الحرث ابن أبى شمر الغسانى ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو من امراء قيصر فقتله ، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره ، فبعث رسول الله بعثه إليها . واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رَوَاحة على الناس ، فتجهز الناس واستعدوا للخروج وكانوا ثلاثة آلاف ، فحضر النبي خروجهم وودعهم ودعا لهم وعاد ، فساروا حتى نزلوا مَعَان ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مؤاب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ، وانضم اليهم مَن جمعهم شرحبيل من لخم وجذام والقين وبهراء وبَلِى مائة ألف عليهم رجل من بلى — فلما بلغ المسلمين الأمر ، أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب الى رسول الله فنخبره بعدد عدونا ، فاما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له ؟ فشجع الناس ابن رواحة وقال : والله ياقوم إن التى تكرهون للتى خرجتم إياها تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى إحدى

الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : صدق والله ، وساروا معه ، ووافتهم جموع الروم والعرب بقرية يقال لها مشارف ، وانحاز المسلمون الى مؤتة ، فدنا منهم العدو ، والتقى الناس عندها ، فتعبى لهم المسلمون ثم التقوا واقتتلوا ، فقاتل زيد براية النبي حتى شاط فى رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال ، اقتحم عن فرسه وقاتل حتى قتل ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة : ضربه رومى فقطعه نصفين ، فوجد فى أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحا ، وفيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح . — فأخذ الراية عبد الله بن رواحة الخزرجى ، وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل ، فأخذ الراية ثابت بن أقرم العجلانى وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت ، قال ما أنا بفاعل ، فاصطلحوا على خالد ابن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم (حاجزهم) ثم انحاز وانحيز عنه من غير هزيمة ، ويروى أن خالدا لما حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير تعبئة العسكر ، توهم العدو أنه جاءهم مدد ، فلما حمل عليهم ولوا فلم يتبعهم ، ورأى الرجوع بالمسلمين هو الغنيمة العظمى فأقبل بهم قافلا الى المدينة .

هذا وقد جاء الخبر من السماء إلى رسول الله بصورة هذه الكارثة ، فحدث الناس بها قبل قدوم خالد ، وقد لقب خالدا فى حديثه بسيف الله ، وأمهل رسول الله ﷺ آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال : لاتبكوا على أخى بعد اليوم ، ثم قال : ائتونى ببنى أخى ، قال عبد الله بن جعفر : فجىء بنا كأنا افراخ ، فدعا الحلاق فحلق رءوسنا ، ثم قال : هنيئا لك ، أبوك يطير مع الملائكة فى السماء .

مكاتبة الملوك

لما عقد رسول الله الهدنة مع قريش بشرع يبلغ ما أنزل اليه من ربه، فكتب إلى الملوك ومن على شاكلتهم يدعوهم إلى الاسلام، والتصديق بنبوته، وان الله أرسله للناس كافة بشيرا ونذيرا، ويحذرهم عاقبة العناد وأن عليهم وحدهم إثم رعاياهم إذا لم يستجيبوا لله وللرسول.

فأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وشجاع بن وهب إلى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء، ودحية الكلبي إلى قيصر، وسليط بن عمرو العامري الى هوذة الحنفي، وعبدالله بن حذافة إلى كسرى أبروبز الذي بطر وأشر وخسر الناس في أموالهم وولى عليهم الظلمة وضيق عليهم المعاش وبغض عليهم ملكه وجمع من المال مالم يجمعه أحد، وقد قتله ابنه شيرويه الذي ملك بعده ثمانية أشهر وهلك سنة ٧ هـ؛ وعمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي؛ والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى.

فأما المقوقس فانه قبل كتاب النبي وأهدى إليه أربع جوار منهن مارية أم ابراهيم بن رسول الله؛ وأما قيصر فقبل الكتاب وتريث حتى يكتب إلى رجل من أهل الكتب برومية يسأله عن شأن النبي، فلما جاءه الخبر منه بأنه النبي الذي كنا ننتظره، صدقه، قيل إنه جمع بطارقة الروم وأشرف عليهم فقال. انه جاءني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وانه النبي الذي نجده في كتبنا، فهلم فلنتبعه ونصدقه — فرفضوا وتولوا مدبرين — فقال: ردوهم وخافهم على نفسه، وقال لهم: إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيت منكم ما سرني، فانطلقوا

وكان كتاب النبي إلى قيصر وهو هرقل : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله اجرك مرتين، وإن توليت فان إثم الاكارين (العامة) عليك (يا أهل الكتاب تعالوا الايه)

وأما الغسانى فان قال من ينزع ملكى منى ؟ أنا سائر اليه ولو كان باليمن، وأمر بالخيول تنعل، وكتب الى قيصر لأنه عامله على العرب فنهاه عن السير، فما انتهى حتى أرسل الرسول اليهم جيش الأمراء إلى مؤتة سنة ٧، ثم تهيأ بعد حنين والطائف لغزو الروم فغزا تبوك وأرسل خالداً إلى دومة فاسر أكيدر دومه

وأما النجاشى فأنه لما جاءه الكتاب آمن وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب ، وأرسل إليه ابنه فى ستين من الحبشة فغرقوا فى البحر ، وأرسل إليه رسول الله ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكانت من مهاجرة الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فتنصر ومات هنالك، فخطبها النجاشى إلى النبي فأجابت ، وأصدقها النجاشى أربعمائة دينار ، فلما سمع أبو سفيان قال ذاك الفحل لا يقذع أنفه

وأما كسرى فمزق الكتاب ، وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، وانى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم، وإن توليت فان إثم المجوس عليك

وقال كسرى يكتب إلى بهذا وهو عبدى ؟ وكتب الى باذان وهو

باليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيانى به ، فبعث باذان رجلين وكتب معهما يأمر النبي بالمسير إلى كسرى ، وتقدم إلى أحدهما أن يأتيه بخبر النبي ، وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل ، فلما قدما على رسول الله أعلماه بما قدما له ، وحذراه عاقبة الرفض لئلا يهلكه كسرى ويهلك قومه — فأخبرهم أن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ، وأمرهما أن يعودا ويقولا لباذان أسلم ، فان أسلم أقره على ما تحت يده وأملكه على قومه ، فما أخبراه الخبر حتى قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى ، وأنه قتله غضباً للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ، ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن ، وبالكف عن النبي ﷺ فلم يلبث باذان أن أسلم ، وأسلم معه أبناء من فارس

وأما هوذة الحنفى وهو ملك اليمامة فانه قال وكان نصرانيا : إن جعل الأمر لى من بعده أسلمت ، وسرت إليه ونصرته ، والا قصدت حربه ، أرسل اليه بذلك رجلين فأسلما وأقام أحدهما عند رسول الله حتى قرأ سورة أو أكثر من القرآن ، ثم عاد إلى اليمامة وكان يسمى الرجال بن عنفوة وشهد أن الرسول أشرك مسيلمة معه ، فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة

وبعد فقد بلغ الرسول رسالة ربه ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، ولكنه هنا قد بلغ الملوك لا الشعوب ، والحكمة فى ذلك واضحة من أن الملوك ومن على شاكلتهم من الرؤساء والقادة هم الذين إذا رسموا إلى الناس خطة اتبعوها ، وإذا سلكوا طريقا سلك الناس من ورائهم هذا الطريق ، لأن الناس على دين ملوكهم ، وهم أيضا الذين ينتظر أن يقوموا

فى وجه الدعوة ليحولوا بينها وبين شعوبهم ، حتى لا يعتنقوا الاسلام ؛ فيثوروا عليهم ويستنزلوهم من عروشهم ويجعلوهم معهم فى مستوى واحد ، يصبحون به تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، مأمورين بعد أن كانوا آمرين ، ومن ذا الذى يرغب فى تقويض دعائم ملكه ، أو لا يتعرض إلى من يقصد تحطيم بناء مجده ؟

لذلك قصدهم الرسول بالكتابة ، وجعل التبعة فى عدم وصول الدعوة إلى شعوبهم واقعة عليهم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

فتح مكة

والأسباب الموجبة المسير اليها ، وفتحها فى رمضان سنة ثمان

هو الفتح الاعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله ، وجنده وحرمه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته من أيدى المشركين : خرج له النبى بكتائب الاسلام وجنود الرحمن ، لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية .

أقام رسول الله بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبا ـ ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة ، عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير .

وكان الذى هاج ما بين بكر وخزاعة ، أن رجلا من حلفاء بكر خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بكر على خزاعى فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بعض بنى بكر فقتلوهم بعرفة ، ثم جاء الاسلام فتشاغل الناس به ـ وفى صلح الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله وكانت حلفاء

عبد المطلب ، وجاءته يومئذ بكتاب هذا الحلف ، فقرأه عليه أبى بن كعب فقال : ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الخلف ، وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام إلا شدة ، ولا حلف فى الاسلام ، ودخل بنو بكر فى عقد قريش — فلما كانت الهدنة ، اغتنمها بنو الديل من بني بكر ، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنو بكر بايعه ، حتى بيّتَ خزاعة على الوتير ، فأصاب منهم رجلا . وأستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال ، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتلوا معهم بالليل مستخفين ، حتى جاوزوا خزاعة الحرم ، فقالت بنو بكر : يانوفل قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال لا إله له اليوم ، يابنى بكر أصيبوا ثأركم ، إنكم لتسرقون فى الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟

ولما دخلوا ، لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولاهم رافع ، فانتهوا بهم فى عماية الصبح ، ودخل رؤساء قريش بيوتهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون ، وأن هذا لا يبلغ النبي ، وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع ، ولولا وساطة سهيل لاستأصلهم نوفل ، ثم ندمت قريش على مافعلت ، وعرفت أنه نقض للذمة والعهد الذى بينهم وبين رسول الله ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا ، حتى قدم على النبى بالمدينة ، فوقف وهو جالس بالمسجد بين ظهراني الناس وقال .

لاهم أنى ناشد محمدا حلف ابينا وأبيه الا تلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا وأدع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا وهم أذل وأقل عددا

على اختلاف بين الرواة فى ترتيبها.

فقال له رسول الله : نُصِرت ياعمرو ، فكان ذلك مما هاج فتح مكة

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على النبى فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين الى مكة ، فلقيهم أبو سفيان بعسفان ، قد بعثته قريش الى الرسول ليشُد العقد ويزيد فى المدة : وقد رهبوا الذى صنعوا ، فقال لبديل : من أين أقبلت ؟ أو جئت محمداً ؟ فلم يَصْدُقه ، فلما راح بديل الى مكة التمس أبو سفيان مبرك راحلة بديل . فأخذ من بعرها ففتّه ، فرأى فيه النوى ، فعلم أنه جاء محمداً ﷺ ، فسار حتى قدم المدينة على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبى طوته عنه ، فقال لها : أرغبتِ بى عن هذا الفراش ، أم رغبتِ به عنى ؟ قالت هو فراش النبى وأنت رجل مشرك نجس ، قال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر ، وخرج حتى أتى النبى فكلمه فلم يرد عليه شيئا ، فذهب إلى أبى بكر

ليكون وسيطا فرفض ، وجاء عمرَ فقال له : والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ، فدخل على علىّ وعنده فاطمة وعنده الحسن يدب بين يديها — فقال لعلى : اشفع لى الى رسول الله ، فقال لقد عزم رسول الله على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت الى فاطمة وطلب اليها أن تأمر أبنها فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ، قالت : والله مابلغ ابني ذاك أن يجير بين الناس ، ومايجير أحد على رسول الله ، فعاد الى على حائرا يطلب النصيحة ، فقال : والله ما أعرف شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيد بنى كنانه ، فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك — قال أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟ قال لا والله ، ولكني لاأجد لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان فى المسجد فقال: أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا ماوراءك؟ قال جئت محمدا فكلمته ، فو الله مارد على شيئا ، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت عليّا فوجدته ألين القوم ، وقد اشار على بشيء صنعته ، فو الله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا ؟ قالوا وبم أمرك ؟ قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت ، قالوا فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا ويلك ، والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يغني عنك ماقلت ، قال : والله ماوجدت غير ذلك .

وأمر رسول الله الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ، وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ، فتجهز الناس .

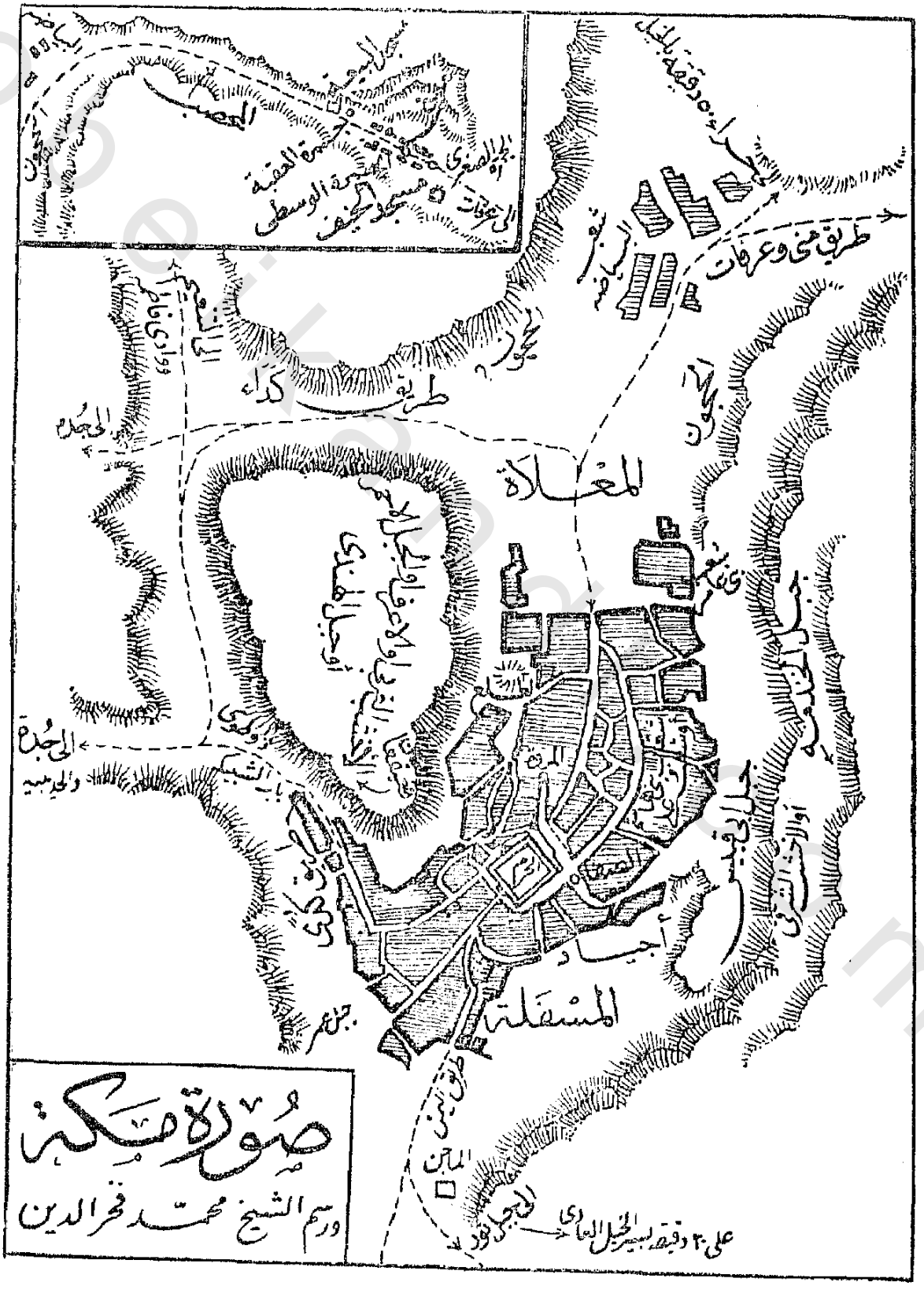

صورة مكة
ورسم الشيخ محمد فخر الدين
المعلاة
المسفلة
أجياد
طريق منى وعرفات
طريق كداء
الحجون
المحصب
جمرة العقبة
الجمرة الوسطى
مسجد الخيف

ولما أجمع الرسول المسير الى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه النبي ، وأعطاه امرأة من مُزَينة اسمها سارة ، وجعل لها جعلا هو عشرة دنانير ، على أن تبلغه قريشا ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، وخرجت به ؛ وعلم رسول الله بما صنع حاطب ، فبعث عليا والزبير فأدركا المرأة ، وهددها علي فاستخرجت الكتاب فدفعته اليه ، ولما عاد على وصاحبه دعا النبي حاطبا فسأله فاعتذر عن فعلته ، بانه أراد أن يصانع قريشا ، لان له بين أظهرهم ولدا ، فطلب عمر أن يضرب عنقه ، فلم يجبه النبي ، لان حاطبا من أصحاب بدر ،

ثم مضى رسول الله لسفره ، إذ خرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد — بين عسفان وامج — أفطر

فلما نزل النبي مر الظهران ، وقد عميت الاخبار عن قريش ، خرج في إحدى الليالي أبو سفيان ومعه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتجسسون الأخبار (يروى أن الحرس اسروهم جميعا فلقيهم العباس فأجارهم وادخلهم على النبي ، فأسلم بديل وحكيم ، وتأخر أبو سفيان باسلامه حتى أصبح على مايجيء) ، وكان العباس قد لقي النبي بالجحفة مهاجرا بأهله وعياله فعاد معه ، ولقي النبيَّ بالابواء أبو سفيان ابن عمه الحرث بن عبد المطلب ، وابن عمته عاتكة عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فالتمسا الدخول عليه فرفض ، لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو ، ثم رق وأذن لهما فدخلا عليه وأسلما ، فلما كان النبي بقديد ، عقد الالوية والرايات ودفعها إلى القبائل ، ثم نزل مر الظهران فأمر أصحابه فاوقدوا

عشرة آلاف نار لتراها قريش فترعب ، ولم يبلغ قريشا مسيره وهم خائفون من غزوه .

ثم أن العباس قال فى نفسه : والله لئن دخل النبي مكة عنوة ، إنه لهلاك قريش لى آخر الدهر ، فجلس على بغلة رسول الله وقال أخرج ، لعلى أرى حطّابا أو رجلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان النبي فيأتونه ويستأمونه ، فبينا هو يسير إذ سمع صوت أبي سفيان ومن معه ، وأبو سفيان يقول مارأيت كالليلة نيرانا قط ، لكأنها نيران عرفة ، فيقول بديل هذه والله خزاعة ، فيقول أبو سفيان ، خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، فلما عرف العباس صوت أبي سفيان ناداه ياأبا حنظلة ، فعرف صوت العباس وقال : أبو الفضل ؟ قال العباس نعم ، قال مالك فداك أبي وأمي ، قال العباس : ويحك ياأباسفيان ، هذا رسول الله فى الناس أتاكم بمعشره ، قال فما الحيلة ؟ قال والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغله حتى آتي بك النبي فأستأمنه لك ، فركب ، وخرج العباس به ، وكلما مر بنار من نيران المسلمين يقولون عم رسول الله على بغلة رسول الله ، حتى مرا بنار عمر فقال : أبو سفيان ؟ عدو الله ؟ الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم اشتد نحو النبي ، وركضت البغلة فسبقت عمر ، ودخل عمر على النبي فأخبره وسأله أن يضرب عنقه ، فقال العباس قد أجرته ، فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال له العباس : مهلا ياعمر ، فوالله لو كان من رجال بني عدي ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من بني عبد مناف ، فقال عمر مهلا ياعباس ، فو الله لاسلامك يوم أسلمت ، كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال النبي قد امناه حتى

تغدو به بالغداة، فرجع به العباس ثم غدا به على النبي، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم ان لا اله الا الله ؟ قال بلى بأبي أنت وأمي ، قال ألم يأن لك أن تشهد أني رسول الله ؟ قال: أمّا هذه ففي النفس منها شيء ، فقال له العباس ويحك! أشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك ، فتشهد وأسلم ، فقال العباس يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له ذكرا ، فقال نعم ، وأمر فنادى مناديه : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال النبي للعباس: احبسه عندك حتى تمر عليه جنود الله ، فحبسه حتى مرت القبائل برايآتها وهو يسأل عنها واحدة واحدة ، حتى مرت الخضراء ، وهي كتيبة رسول الله ، وفيها الانصار والمهاجرون ، لايرى منها إلا الحَدَق من الحديد، فسأل العباس عنها فأخبره فقال : ما لأحد بهؤلاء من قِبل ولا طاقة ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، فقال له : يا أبا سفيان إنها النبوة ، فقال نعم إذاً ، ثم قال له الحق بقومك ، فجاء فصرخ : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبل لكم به ، قالوا فما قال ؟ قال من دخل داري فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، يامعشر قريش أسلموا تسلموا، فاقبلت امرأته هند بنت عتبة فأخذت بلحيته وقالت : يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الاحمق ، فقال : ارسلي لحيتي ، وأقسم لئن لم تسلمي أنت لتضربن عنقك، ادخلي بيتك ، فتركته

وتقدم رسول الله حتى نزل بذي طوى ، ومن هنالك فرق جيشه ،

فأمر الزبير أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء (شمالا) وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كُدَىّ (بالشمال الشرق من ناحية عرفة) فقال سعد : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبه ، فسمعها من اعترض النبي وقال :

يانبي الهدى إليك لجاحى م قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار ض وعاداهم الله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهـ ـر بأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع ﷺ هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة ، فأمر بالراية فأخذت من سعد فدفعت الى أبنه قيس أو إلى على أو إلى الزبير ؛ وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللبط أسفل مكة ، ودخل رسول الله من كَدَاء وأذاخر بأعلى مكة على ناقته القصواء وهو يتلو سورة الفتح

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا أناسا بالخندمة أسفل مكة ليقاتلوا ـ فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ، ناوشوهم شيئا من القتال ، وقتل المسلمون منهم اثنى عشر رجلا فانهزموا ، وأقبل خالد بالمسلمين فقام فى وجههم النساء المشركات يلطمن وجوه الخيل بالخُمُر ، وكان النبي قد أمر امراءه ألا يقتلوا أحدا الا من قاتلهم ، غير أنه قد عهد فى نفر سماهم ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وكانوا ثمانية رجال وأربع نسوة

ودخل الرسول وجنده مكة آمنا ، وكان ذلك لعشر بقين من رمضان سنة ثمان ؛ فلما اطمأن الناس خرج فطاف بالبيت سبعا على

راحلته ، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها ، فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ، ثم لما كان الغد ، وقف على باب الكعبة خطيبا وقد استكف الناس فى المسجد ، فهلل وكبر ، وذكر الله كثيرا ، ثم كان مما قال : ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدّعَى ، فهو تحت قدمى هاتين ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ثم قال يامعشر قريش ، ماترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فانى أقول كما قال أخى يوسف (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء — ثم جلس للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب تحته ، واجتمع الناس لبيعة النبى على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا : فلما فرغ من الرجال بايع النساء .

وقد أمر رسول الله بطمس الصور التى على جدران الكعبة وتحطيم الاصنام التى فوقها أو حولها (٣٦٠) .

وكان من الذين هدر دماءهم رسول الله ﷺ .

(١) عكرمة بن أبى جهل — لما كان الفتح هرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث قبله فاستأمنت له ، وخرجت فى طلبه ، فأدركته يريد ركوب البحر ، فذكرت اليه أن النبى أمنه فعاد معها وأسلم

(٢) صفوان بن أمية بن خلف ، فر الى جده ليركب منها الى اليمن ، فقال عمير بن وهب الجمحى : يانبى الله ، ان صفوان سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر ، فقال هو آمن ، قال عمير فأعطنى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه النبى عمامته التى دخل بها مكة ،

فادركه عمير وطمأنه فرجع ، فلما وقف على رسول الله قال له : ان هذا يزعم أنك أمنتنى ، قال صدق ، قال فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر ، فأقام معه كافراً ، وشهد معه حنينا والطائف ، ثم أسلم وحسن إسلامه

(٣) عبدالله بن سعد بن أبى سرح من بنى عامر بن لؤى ، وكان قد أسلم وكتب الوحى إلى النبى ، فكان إذا أملى عليه (عزيز حكيم) يكتب (غفور رحيم) ثم يقرأ عليه فيقول : نعم سواء . ثم ارتد ولحق بقريش ـ فلما كان الفتح فر الى عثمان بن عفان . وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس وأحضره عند النبى وطلب له الامان ، فصمت الرسول طويلا ثم أمنه فأسلم وعاد ، فلما انصرف قال النبى لاصحابه لقد صمت ليقتله أحدكم فقالوا : هلا أو مات ؟ فقال ما كان للنبى أن يَقْتُل بالاشارة ، إن الانبياء لايكون لهم خائنة الأعين.

(٤) وحشى بن حرب قاتل حمزة هرب يوم الفتح إلى الطائف ، ثم وفد فى أهله على رسول الله مسلما .

(٥) عبد الله بن الزِبَعْرَى السهمى ، وكان يهجو رسول الله بمكة ويعظم القول فيه ، فهرب يوم الفتح الى نجران ، ثم عاد الى رسول الله معتذرا فقبل عذره وأسلم .

ومن النساء هند بنت عتبة ، أمر رسول الله بقتلها لفَعْلتها فى حمزة ، ولأنها كانت تؤذى رسول الله بمكة ، جاءت اليه مع النساء متنكرة فأسلمت ، وكسرت كل صنم فى بيتها ، وأهدت الى رسول الله جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها ، فدعا لها بالبركة فيها فكثرت .

وكان من حديثها عند وفودها على النبي فى نسوة من قومها : أنه قال لهن أتبايعنني على ألاّ تشركن بالله شيئا ؟ فقالت هند : أنك والله لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال ، فسنؤتيكه ، قال ولاتسرقنَ ، فقالت : والله إن كنت لأصيب من مال أبى سفيان الهَنَة والهَنة ، فقال أبو سفيان وكان حاضراً ، أما مامضى فأنت منه فى حل ، فقال النبي أهند؟ قالت . أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك ، فقال : ولاتَزْنين ، قالت وهل تزنى الحرة ؟ قال ولاتقتلن أولادكن ،قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا ، فأنت وهم أعلم ، قال ولاتأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، قالت : والله ان إتيان البهتان لقبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق ، قال ولاتعصينني فى معروف ، فقالت . ماجلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك ،فقال النبي لعمر بايعهن واستغفر لهن .

غزو بنى جذيمة

ولما تم فتح مكة ، بعث النبي سراياه حول مكة يدعو إلى الله ، ولم يأمر بقتال ، وكان ممن بعثهم خالد بن الوليد ، فوطىء بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة من كنانة بالغميصاء ، أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم . وكانت جذيمة قدأصابت فى الجاهليه عوفا أبا عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المغيرة عم خالد ، فلما رأى خالدا القومُ أخذوا السلاح فقال لهم ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا فوضعوه ، فأمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضوا على السيف فقتل منهم من قتل ، فلما انتهى الخبر الى النبي رفع يديه الى السماء ، ثم قال اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد

ثم أرسل عليّا وأمره أن ينظر فى أمرهم ، فودى لهم الدماء والاموال حتى انه ليدى مِيلَغةَ الكلب ، وبقى معه من المال فضلة ، فقال لهم علىّ : هل بقى لكم مال أو دم لم يؤد ؟ قالوا لا ، قال فانى أعطيكم هذه البقية احتياطا لرسول الله ، ثم رجع فأخبر النبى فقال أصبت وأحسنت .

أما خالد فاعتذر بأن عبد الله بن حذافة السهمى أمره بذلك عن رسول الله . لامتناعهم عن الاسلام ، وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد مشادة فى الأمر ، إذ قال له عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام ، فقال خالد : انما ثأرتُ بأبيك ، فقال عبد الرحمن كذبت ، قد قلت أنا قاتل أبى ولكنك ثأرتَ بعملك الفاكه ، حتى كان بينهما شر ، فنهى رسول الله خالداً عن الصحابة ، وانتهى بذلك الامر ، والقول الفصل فى سبب قتل خالد القوم هو أنه دعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا ، فنقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام ، وفهم أنهم أنفوا أن يقولوا أسلمنا ، ولم ينقادوا ، فاستحل من جراء ذلك قتلهم متأولا ، وقال ان هذا ليس باسلام ، وثار غضبا لله ، معتقدا أنه لاطريق إلى الحق الا الصراحة .

وأرسل رسول الله خالدا لهدم العزى بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ، وكان سدنتها بنى شيبان من بنى سُليم ، حلفاء بنى هاشم ، فلما انتهى اليها هدمها ورجع الى النبى — ولو لم يكن راضيا عنه ، معتقدا صحة ماذهب اليه ، ما أرسله فى هذا الوجه ولا فى غيره

وأرسل عمرو بن العاص فهدم (سواع) صنم هذيل ، وأرسل سعد بن زيد الاشهلى الى مناة صنم الاوس والخزرج بالمشلل .

هذا وقد أقام النبي بعد فتح مكة خمس عشرة ليله يقصر الصلاة

غزوة حنين وتسمى غزوة هوازن

كانت هذه الغزة سنة ثمان بعد فتح مكة وتسمى أوطاس، بالموضع الذي كانت فيه شرقي مكة .

وسببها : أنه لما سمعت هوزان بالنبي وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصري فاجتمع اليه مع هوزان ثقيف كلها ، ولم يحضرها من هوزان كعب ولا كلاب . وكان في بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس له شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا .

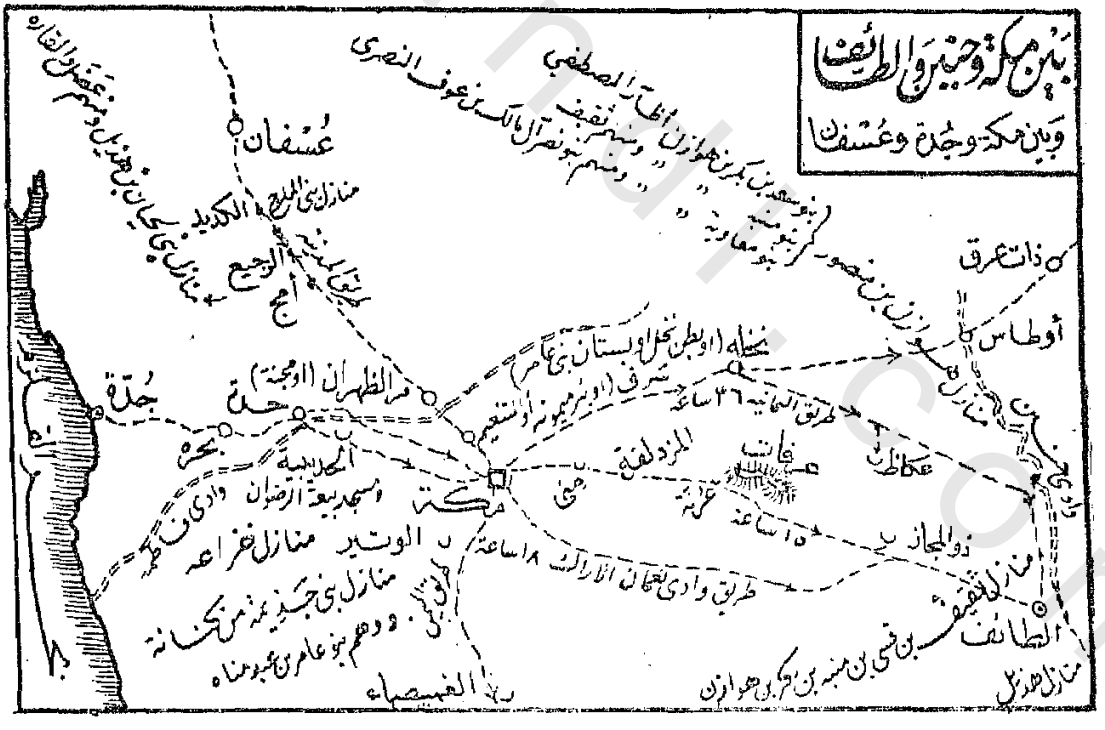

ولما أجمع مالك السير الى النبي ، حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فأنكر عليه دريد وقال أين مالك ؟ قيل هذا مالك ، فقال له : يامالك انك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده

من الأيام ؛ مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء؟ قال سقتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله يقاتل عنهم ؛ فقال فى سخط . وهل يرد المنهزم شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ؛ وان كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ؛ ثم نصحه فلم ينفع فيه النصح ؛ وقال والله لا أفعل ذلك ؛ إنك قد كبرت وكبر عقلك ؛ وهدد هوزان بأن ينتحر إذا لم يطيعوه . كره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأى ؛ فقالوا لئن عصيناه ليقتلن نفسه وهو شاب ؛ ونبقى مع دريد وهو شيخ كبير لا قتال معه

فلما سمع النبى أرسل اليهم من يجيئه بخبرهم فعاد اليه بأنهم اجتمعوا له ؛ فأجمع المسير اليهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحاً ، وهو يومئذ مشرك ؛ فاستعار منه النبى فأعاره مائة درع بما يكفيها من السلاح ؛ وطلب منه أن يكفيهم حملها ففعل — وخرج النبى ومعه ألفان وهم الطلقاء من أهل مكة ؛ مع عشرة آلاف من الصحابة ؛ ولما اجتمعوا أعجبتهم كثرتهم وقال قائلهم : لن نغلب اليوم من قلة ؛ ثم ركب النبى بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة ومضى يريد لقاء هوازن ؛ قال جابر ابن عبد الله : فلما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف ذى خطوط ، انما ننحدر فيه انحداراً : وكان فى عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد اجتمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وكانوا رماة ؛ فانشمر الناس

راجعين ، لا يلوى أحد إلى أحد ، وانحاز النبي ذات اليمين ، لم يثبت معه إلا العباس وعلى والفضل وأبو سفيان بن الحرث وأبو بكر وعمر وأسامة ، فى أناس من أهل بيته وأصحابه ، وهم جميعا نحو مائة ، فقال النبي : إلى أين أيها الناس؟ هلم إلى ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله — فلاشيء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فلما انهزم الناس ، ورأى من كان معه من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر — وصرخ جبلة أخو صفوان بن أمية لأمه وهو مشرك : ألا بطل السحر اليوم — فقال له صفوان أسكت فض الله فاك ، لأن يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن

وأراد أحد بنى عبد الدار قتل النبي فى هذه الفرصة ، آخذا بثأر أبيه الذى قتل يوم أحد فلم يطق

فلما رأى النبي أن الناس لم يعودوا قال ياعباس اصرخ : يامعشر الأنصار ، يامعشر أصحاب السمرة ، فاجابوا يالبيك يالبيك وتراجعوا ، حتى أن الرجل منهم ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله فيؤم الصوت ، حتى ينتهى إلى النبي ، فأمرهم أن يصدقوا الحملة على المشركين ، فامتثلوا وقاتلوا ورسول الله ينظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمى الوطيس (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) فما هو الا أن هزم الله المشركين وأمكن رسوله منهم ، وافاء عليه أموالهم ونساءهم وابناءهم

ورب قائل ما شأن هذه الاغاثة من الله (ولو شاء الله لانتصر منهم) ولا داعى الى هذه الدماء التى تراق ، والجواب يتبين من قوله تعالى (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) وقوله فى آية أخرى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) وكفى

ولما انهزم المشركون فى حنين أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، فتبعت خيل النبى من سلك فى نخلة ، وأُدرك دريد بن الصمة وقتل ، قتله أحد بنى سُليم .

غزوة أوطاس — ثم بعث النبى فى آثار من توجه قِبَل أوطاس — وهو واد فى ديار هوزان غير وادى حنين — أبا عامر الاشعرى فأدرك بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فقتل أبو عامر منهم تسعة إخوة مبارزة ثم رمى فقتل ، فأخذ الراية ابن أخيه أبو موسى الاشعرى ، فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم .

وكان مالك بن عوف عند الهزيمة قد خرج ، فوقف فى فوارس من قومه على ثنية الطريق وقال لأصحابه قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ويتتام آخركم ، فانتهى الزبير بن العوام إلى أصل الثنية فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

وسبى رجل من بنى سعد بن بكر فساقه الناس فى أهله وساقوا معه الشيماء بنت الحرث بن عبد العزى أخت النبى من الرضاع . فعرّفتهم هذه الصلة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبى ، فقالت له إنى أختك من الرضاعة ، وأرته علامة فصدقها ، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها وقال : ان أحببت فعندى محببة مكرمة ، وإن أحببت ان أمتعك

وترجعى الى قومك فعلتُ ، قالت بل تمتعى وتردنى إلى قومى ، فاسلمت فقال لها ارجعى الى الجعرانة تكونين مع قومك فانى أمضى الى الطائف فرجعت اليها ووافاها بها فاعطاها نعما وشاء ولمن بقى من أهل بيتها

ثم جمعت إلى رسول الله سبايا حنين ، وأموالها فأمر بها الى الجعرانة فحبست بها . و لما ورد ﷺ الجعرانه اقبلت امرأة بدوية فلما دنت منه بسط لها رداءه فقيل من هذه قالوا : أمه التى أرضعته .

ولما أراد ﷺ الطائف أرسل الطفيل بن عمرو الدوسى ليهدم ذا الكفين (صنم رئيس دوس وهو عُمر بن حُمَمة) ويوافيه بالطائف ، فذهب مسرعا وحرقه ووافى رسول بالطائف فى اربعمائة من قومه فأسلموا .

غزوة الطائف

بلد كبير كثير الاعناب والفواكه . على ثلاث مراحل من مكة من شرقيها . واسم الارض وجّ .

لما قدم فل ثقيف الطائف دخلوا حصنهم فرموه وأغلقوا عليهم أبوابه ، وصنعوا الصنائع ، فأدخلوا مايصلحهم من القوت لسنة وتهيئوا للقتال ، فاعدوا سككا من حديد ، وجمعوا حجارة كبيرة ، وأمروا سرحهم أن يرتع فى موضع يأمنون فيه ، وقاموا على حصنهم بالسلاح والرحال .

وسار رسول الله اليهم فى شوال سنة ثمان ، وجعل خالداً على مقدمته ، وأمر بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم مضى حتى نزل قريباً من الطائف فضرب بها عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لقرب العسكر من حائط الطائف ، ولم يقدر المسلمون على اقتحام الحائط

عليهم لأنهم أغلقوه دونهم ورموهم ، فتباعد النبي بالعسكر قليلا ، وحاصر أهل الطائف بضع عشرة ليلة — ورماهم بالمنجنيق ، وهو أول منجنيق رمى به في الاسلام ، قدم به الطفيل من ذي الكفين ، ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليحرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف السكك محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا — فأمر النبي بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون قطعا ذريعا ، فسألوه أن يدعها لله وللرحم ففعل . لأن احدى جداته العليا لامه من ثقيف .

ثم نادى مناديه ﷺ : ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر ، فخرج منهم بضعة عشر رجلا ، فيهم أبو بكرة فاعتقهم رسول الله ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة .

ثم جاء رسول الله الوحي من السماء بالانصراف عن الطائف بعد حكاية لا بأس بسردها وهي : أن خويلة بنت حكيم بن أمية السلمية ، امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطني ان فتح الله عليك حلي بادية بنت غيلان الثقفي أو الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف ، فقال لها : وإن لم يؤذن لي في ثقيف ياخويلة ، فخرجت فذكرت ذلك لعمر ، فدخل فسأل رسول الله عما تقوله خويلة ، فقال قد قلته ، قال أو ما أذن لك فيهم ؟ قال : لا قال : أفلا أؤذن في الرحيل؟ قال : بلى ، فأذن عمر بالرحيل فضج الناس من ذلك فقال ﷺ فاغدوا على القتال ، فغدوا فاصاب المسلمين جراحات فقال إنا قافلون إن شاء

الله ، فسروا بذلك واذعنوا ، فتبسم ﷺ عجبا من تغير رأيهم ، وقال له رجل من أصحابه يوم ظعن : يارسول الله أدع عليهم فقال ﷺ : « اللهم أهد ثقيفا وائت بهم مسلمين » . فاستجاب الله دعاءه كما سترى

أموال هوازن وسباياها

نزل النبي الجعرانة آئبا فيمن معه من الناس وفيهم من هوازن سبي كثير ، ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الابل والشاء مالا يدرى ماعدته قيل . الابل ٢٤٠٠٠ بعير ، الغنم أكثر من ٤٠٠٠٠ ، الفضة ٤٠٠٠ أوقية ، واستأنى بهوزان أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليله ، ثم بدأ بقسم الاموال فقسمها ، فجاءه وفد هوازن وقد أسلموا ، فقالوا يارسول الله . إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك ، فامنن علينا مَنّ الله عليك ، ثم قام رجل منهم فقال يارسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا (أرضعنا) للحرث من أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل بنا بمثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

فقال لهم النبي : أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم ؟ فقالوا بل ترد أبناءنا ونساءنا فهو أحب الينا . فقال لهم أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ، في أبنائنا ونسائنا . فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ، ففعلوا ، فتنازل رسول الله عما له ولبني عبد المطلب فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله

وقالت الانصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال الاقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينه بن حصن أما أنا وبنو فزارة : فلا ، وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سُليم فلا ، فقال بنو سليم بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال عباس وهنتمونى ، فقال رسول الله ﷺ أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى ، فله بكل انسان ست فرائض من أول سبى أصيبه ، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم ، ففعلوا حتى عيينة ابن حصن . وقال النبى لوفد هوازن ـ وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ـ فقالوا هو بالطائف مع ثقيف ، فقال أخبروه أنه إن أتانى مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل ، فأتى من الطائف وقد خاف من ثقيف أن يحبسوه إذا علموا أن النبى قال فى شأنه ماقال ، فخرج ليلا على فرسه ، وأدرك رسول الله بالجعرانة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الابل ، وأسلم فحسن إسلامه

ولما فرغ النبى من رد سبايا حنين إلى أهلها ، ركب واتبعه الناس يقولون يارسول الله اقسم علينا فيئنا من الابل والغنم ، فمازالوا به حتى رضى ، فأعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وكذلك الحرث بن كَلَدَة من بنى عبدالدار ، والحرث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، والاقرع بن حابس ، ومالك بن عوف ، وصفوان بن أمية ، وعيينه بن حصن ، ثم أعطى آخرين دون المائة ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها وعاتب النبى فيها بقصيدة ، فقال رسول الله : أذهبوا به فاقطعوا عنى لسانه ، فاعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله

وقال قائل للنبي : أعطيت عيينة والاقرع مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمري، فقال تألفتهما ليسلما، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه

وجاء ذو الخويصرة التميمي فوقف على النبي وهو يعطى الناس فقال: لم أرك عدلت ، فغضب النبي ﷺ واستأذن عمر فى قتله ، فنهاه النبي وقال دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية . فظهر صدق هذا الحديث فى الخوارج فكان بدؤهم من ذى الخويصرة .

ولما أعطى الرسول ما أعطى فى قريش وقبائل العرب ، ولم يعط الانصار شيئا ، وجدَ الانصار فى نفوسهم ، وقالوا سيوفنا تقطر من دمائهم، وغنائمنا تقسم فيهم ، وظنوا أن رسول الله إذ فتح مكة بلاده ، وجمع على الدين قومه، سيقيم بأرضه، وقال حسان من قصيدة يعاتبه فيها

علام تدعى سليم وهى نازحة قدام قوم هم آووا وهم نصروا
سماهم الله أنصارا بنصرهم دين الهدى وعوان الحرب تستعر

ووجد الانصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم المقالة ، وقال قائلهم: لقى والله رسول الله قومه

ودخل عليه سعد بن عبادة فقال : يارسول الله ، ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت ، قال فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال يارسول الله ما أنا إلا من قومى ، قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة ، فأتاهم رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يامعشر الانصار ، ماقالة بلغتنى عنكم ، وَجدَة وجدتموها علىّ فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى ، وعالة فأغناكم

الله بى ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم بى ؟ قالوا : بلى : الله ورسوله أمنّ وأفضل ، قال ألا تجيبونى يامعشر الانصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يارسول الله ؟ قال : أما والله لوشئتم لقلتم فصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ، اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار ، فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا.

وانصرف رسول الله من الجعرانة معتمرا ، وأمر بحبس الفىء بناحية مر الظهران حتى أتم عمرته ، وخرج راجعاً إلى المدينة ، واستخلف على مكة عتاب بن أسيد ، وجعل رزقه كل يوم درهما ، فخطب فى الناس فقال : أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله درهما كل يوم فليست بى حاجة الى أحد

وقدم رسول الله المدينة لست بقين من ذى القعدة ، أى بعد أن غاب عنها شهرين وستة عشر يوما ، وأقام أهل الطائف على شركهم وأمتناعهم فى طائفهم الى شهر رمضان من سنة تسع

ثم أرسل السرايا إلى جهات مختلفة ومنها سرية علىّ لهدم صنم طيىء فهدمه وعاد بالسبى وكان فى السبى سَفَّانة أخت عدى بن حاتم فاطلقها النبى فكان ذلك سبب اسلام عدى كما سيجىء

أسلام كعب بن زهير

لما قدم النبي من الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب يخبره أن الرسول قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وان من بقى من شعراء قريش قد هربوا فى كل وجه ، فان كانت لك فى نفسك حاجة ، فطر الى رسول الله ، فانه لايقتل أحداً جاءه تائباً ، وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض ، فكتب كعب إلى أخيه يؤنبه على اتباعه النبي ، فلم يهتم بجير أن أخبر النبي ، وكتب إلى كعب قصيدته التى منها

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى   تلوم عليهـا باطلا وهى أحزم

الى الله ، لا العزى ولا اللات ، وحده   فتنجو اذا كان النجاء وتسلم

فدين زهير وهو لاشيء دينه   ودين أبى سلمى على محرم

فلما وصل كتاب بجير إلى كعب ، ضاقت به الارض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حاضره (حيه) من عدوه ، فقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد بدا قال قصيدته بانت سعاد ، وخرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة ، فغدا به إلى رسول الله حين صلى الصبح فصلى معه ، ثم أشار له الى الرسول وقال : قم اليه فاستأمنه ، فقام فوضع يده فى يد النبي ، فقال يارسول الله ، ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله نعم ، فقال أنا يارسول الله كعب بن زهير ، فوثب عليه رجل من الانصار وقال : يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول دعه عنك فانه قد جاء تائباً نازعا عما كان عليه — فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم ،

وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فخصهم بمدحته فغضب الانصار ، فقال بعد أن أسلم فيهم قصيدته التى أولها

من سره كرم الحياة فلا يزل ... فى مقنب من صالحى الانصار

ورثوا المكارم كابراً عن كابر ... إن الخيار هم بنو الاخيار

يمدحهم ويذكر بلاءهم مع رسول الله وموضعهم من اليمن

غزوة تبوك

وهى غزوة العسرة وتسمى الفاضحة ، لافتضاح المنافقين فيها

كانت تبوك سنة تسع ، وبيانها أن رسول الله أقام بالمدينة بعد عودته من الطائف الى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمن عسرة من الناس وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه — وكان رسول الله قلما يخرج فى غزوه الا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد إليه ، إلا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس : لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد اليه ليتأهب الناس لذلك أهبته

وسببها أنه بلغ رسول الله من الانباط الذين يقدمون بالزيت من دمشق إلى المدينة ، أن الروم تجمعت بالشام مع قيصر ، وأنه رزق أصحابه لسنة » وأجلبت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب ، وجاءت مقدمتهم الى البلقاء ، ولم يك لذلك حقيقة ، وقيل أن نصارى العرب كتبوا إلى هرقل : أن الرجل الذى خرج يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون ، فهلكت أموالهم ، فان كنت تريد

ان تلحق دينك فالآن ، فبعث هرقل رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبي ولم يكن للناس قوة ، وقيل في سببها إن الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره. قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والأسواق ، وليذهبن ما كنا نصيب منها ، فعوضهم الله بقتال أهل الكتاب وأمرهم بذلك في قوله يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، فعزم النبي على قتال الروم لانهم أقرب اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق .

فعند ذلك ندب الناس وأمرهم بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم ، وأخذ يستعد ، وقال للجد بن قيس : هل لك العام في جلاد بني الاصفر ؟ فقال يارسول الله ائذن لي ولا تفتني ، يريد أن يتخلف لئلا يفتتن بنساء الروم وليس ذلك به ـ وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر ، فنزل قول الله (قل نار جهنم أشد حرا .)

وبلغ النبي أن قوما من المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود يثبطون الناس ، فأمر بأن يحرق عليهم ، ثم جد النبي في سفره ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. فحمل على ألف بعير وسبعين فرسا ، وجهز ثلث الجيش كله وكان عشرة آلاف ، وتصدق أبو بكر بماله كله وهو أربعة آلاف ، وعمر بنصف ماله ، وتصدق غيرهم من الصحابة بما استطاعوه ، وأرسل عليه السلام الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم :

وجاء سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ـ وهم البكاءون ـ وكانوا

أهل حاجة فاستحملوا، فقال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون

ثم جاءه المعذرون من الأعراب فاعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وهم اثنان وثمانون من بنى غفار، ومن غطفان وأسد، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر ولا أظهار علة جراءة على الله ورسوله

ثم استتب برسول الله سفره وأجمع السير، وابطأت بجماعة من أصحابه نيتهم، فتخلفوا من غير شك ولا ارتياب، وكانوا نفر صدق لا يتهمون فى اسلامهم، أما النبي فخرج وعسكر فى ثنية الوداع بثلاثين ألفا،

وخرج مع النبي عبد الله بن أبى فى عسكر منفردا، ولم يك أقل العسكرين، فلما سار رسول الله تخلف عنه فى المنافقين وأهل الريب

أما على بن أبى طالب فقد تخلف بامر النبي على أهله، فأرجف به المنافقون، وقالوا ماخلفه إلا استثقالا له وتخففا منه، فسارع بسلاحه الى رسول الله وأخبره بما يقول المنافقون فى شأنه، فقال له ارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى ياعلى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى؟ فرجع، وبهذا يستدل الشيعة على أن عليا أولى بالخلافة بعد رسول الله . فهل كان هرون خليفة موسى من بعده؟ لا، إنما كان يستخلفه عند ما يذهب الى مناجاة ربه وهو حى، فلا حجة فيه

وسار رسول الله ولحق به فى الطريق وفى تبوك من كان قد أبطأ عن مرافقته من أصحابه المخلصين، ونهى النبي أصحابه عن أن يشربوا من مياه الحجر بأرض ثمود، أو يتوضئوا منها للصلاة، وإن عجنوا

بمائها جعلوه علفا للماشية ، وربما كان ذلك منه : لأن ماء الحجر يطول مكثه فى عيونه فهو آسن موبوء ، يصيبهم اذا شربوا منه المرض فى ابدانهم ، أو خشية أن يورثهم شربه قسوة فى قلوبهم .

ثم نهاهم أن يدخلوا بيوت هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم قال الا وانتم باكون ، لئلا يصيبكم مثل ما أصابهم ؛ ووجه الخوف أن البكاء يبعث على التفكر والاعتبار بهؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا .

ومضى رسول الله فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون له تخلف فلان فيقول : دعوه ، فان يك فيه خير ، فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك ، فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله قد تخلف أبو ذر وأبطأ بعيره ، وكان أبو ذر لما أبطأ بعيره ، اخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع اثر الرسول ماشيا ، ونزل رسول الله فى بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال يارسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ كن أباذر (أى اتصف بكونك أبا ذر . أو من قبيل الدعاء كما تقول : اسلَمْ اى سلمك الله ويكون معناها اللهم اجعله اباذر وقيل معناه : انت ابو ذر) . فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله هو والله أبو ذر فقال : رحم الله اباذر يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ،

ثم انتهى رسول الله إلى تبوك فأتى يُحَنَّه بن رؤبة صاحب أيلة ، فصالحه النبى على الجزية . وكتب لهم كتابا ، ويظهر أن تبوك كانت من توابع أيلة ، وكذلك صالحه أهل جرباء وأذرُح ، وهما بلدان بالشام بينهما ثلاثة أميال . ووجد هرقل بحمص — دار ملكه — لم يتحرك ولم

يرد ذلك ولا هم به ، فكان الذى وصل إلى رسول الله من تعبئته أصحابه ودنوه إلى الشام باطلا

أكيدر دُومة الجندل

ثم أرسل رسول الله خالد بن الوليد إلى أكَيْدر دومة الجندل ، وهو نصرانى من كندة ، كان ملكا عليها من قبل هرقل هو وآخر ، وكان نصرانيا ، فتلقيه خالد فى خيل النبى ومعه أخوه حسان فى نفر من أهل بيته قد خرجوا لصيد البقر ، فاستأسر اكيدر ، اعطى بيده ولم يقاتل ، وقُتل أخوه حسان لأنه قاتل ، وقد كان عليه قباء من ديباج مُخوَّص بالذهب ، فاستلبه خالد فبعث به إلى النبى قبل قدومه باكيدر عليه وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم اجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله على أن يفتح له دومة ففعل وصالحه على الفى بعير وثمانمائة فرس واربعمائة درع واربعمائة رمح

ثم قدم به على الرسول فحقن له دمه وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته ، ثم نقض بعد وفاة رسول الله ، فكان له شأن مع خالد وعياض بن غَنْم عند فتح العراق

عود — وأقام رسول الله بتبوك بضع عشرة ليلة وانصرف إلى المدينة وفى هذه الغزوة كتب رسول الله كتابا إلى هرقل غير الذى كتبه مع دحية مدة الهدنة ، فقارب الاجابة ولم يجب خوفا على ملكه

مسجد الضرار

ولما نزل رسول الله بذى أوَان وهى بلدة بينها وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب المسجد قد أتوه وهو يجهز الى تبوك فقالوا

بنينا مسجداً لذى العلة والليلة المطيرة ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال إنى على جناح سفر ، ولو قدمنا إن شاء الله لاتيناكم فصلينا لكم فيه

فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد من السماء ، فقال لاثنين من أصحابه انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرّقاه ففعلا ، ونزل فيه قوله تعالى « والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » وكانوا اثنى عشر رجلا اجمعوا بناءه يضارون به مسجد قباء ، وقالوا : نقيل فيه فلا نحضر خلف محمد

بقية حديث تبوك

ولما عاد رسول الله كان قد تخلف عنه رهط من المنافقين ، فجاءوا فحلفوا فعذرهم واستغفر لهم ووكل أمر سرائرهم الى الله ، وارجأ أمر ثلاثة رهط من المسلمين كانوا قد تخلفوا من غير شك ولا نفاق ، وقال لأصحابه : لاتكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة ، وهم كعب ابن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية وكلهم من الأنصار ، فاعتزلهم المسلمون وتغيروا لهم ، حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا اليه ، وقد ظلوا فى ذلك خمسين ليلة حتى آذن رسول الله الناس بتوبة الله عليهم فى قوله لقد تاب الله على النبي ... إلى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، فذهب الناس يبشرونهم . هلاك رأس المنافقين — وبعد الانصراف من

تبوك : هلك عبد الله ابن أبي ، وجاء ابنه عبد الله الصحابي الجليل فسأله

ﷺ أن يعطيه قميصه ، يكفن فيه أباه ، ثم سأله أن يصلى عليه ، فاعترضه عمر ، فلم يأخذ بقوله ، وصلى عليه اكراما لولده ، واستمالة لقومه ، ثم انزل الله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)

أمر ثقيف وإسلامها

وقدم النبي ﷺ من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة ابن مسعود قبل أن يصل المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام فقال له : انهم قاتلوك ، إذ عرف أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : أنا أحب اليهم من أبكارهم ، وكان فيهم محببا مطاعا ، فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله ، وقيل له ماترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله الى ، فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله قبل أن يرتحل عنكم . فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم .

أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ، ثم أنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا وقال بعض ثقيف لبعض : أغلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله رجلا . فكلموا عبد ياليل بن عمرو ، وكان من سن عروة فأبى ، وخشى أن يُصنع به إذا

رجع كما صنع بعروة ، فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجالا من الاحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فبعثوا ستة ، فخرج بهم عبد ياليل وهو نائب القوم وصاحب أمرهم ، وانما خرج بهم لكى يشغل كل رجل منهم إذ رجعوا إلى الطائف رهطه ؛ فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة ، ألقوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب رسول الله ، فلما رآهم ترك الركاب عندهم ، وأسرع ليبشر النبى بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر قبل أن يدخل على النبى ، فأخبره عن ركبهم أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام ، بأن يشرط لهم الرسول شروطا ويكتتبوا منه كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى النبى ، حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، ودخل أبو بكر فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروّح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون الرسول فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على الرسول ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبينه ، حتى اكتتبوا كتابهم وتولى خالد كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند النبى حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم .

وقد كانوا سألوا النبى أن يدع لهم الطاغية — وهى اللات — لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهرا واحداً بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون ، أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم

وذراريهم ، يكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها ، حتى يدخلها الاسلام ، فأبى الرسول إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها .

وقد سألوه مع ترك الطاغيه أن يعفيهم من الصلاة والا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فأعفاهم من هذه الاخيرة وقال : أما الصلاة فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، قالوا فسنؤتيكها وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم النبى كتابا ، أمّر عليهم عثمان بن أبى العاص من بنى مالك ، وكان من أحدثهم سنا ، ذلك لأنه كان أحرصهم على التفقة فى الاسلام وتعلم القرآن .

ولما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم ، بعث النبى معهم أباسفيان والمغيرة فى هدم الطاغية فخرجا ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى عليه وقال : ادخل أنت على قومك ، فلما دخل المغيرة علاها بضربها بالمعول ، وقام قومه دونه خشية أن يُرمى أو يصاب ، كما أصيب عروة . وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين

ويروى أن المغيرة قال لأبى سفيان حين هدمها : ألا أضحكك من ثقيف ؟ فقال بلى ، فأخذ المعول وضرب به اللات ، ثم صاح وخر على وجهه ، فارتجت الطائف بالصياح ، سُروراً بأن اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يامغيرة ؟ دونكها ان استطعت ، فقام المغيرة يضحك ويقول لهم . ياخبثاء والله ماقصدت إلا الهزأ بكم ، ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها ، ثم أخذ مالها وحليها وأرسله الى أبى سفيان .

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الاسود من ثقيف قد قدما على رسول الله بعد قتل عروة يريد ان فراق ثقيف ، وألا يجامعهم على شيء أبدا فأسلما ، فلما أسلم وفد ثقيف ورجع ، سأل أبو مليح رسول الله أن يقضي عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية ، وقال له قارب : وعن الاسود يارسول الله فاقضه ، وعروة والاسود أخوان لأب وأم ، فأمر رسول الله أبا سفيان أن يقضي دينهما من مال الطاغية ، فقضى عنهما .

وبعد ففي قصة اسلام ثقيف عبرة . إذ ترى من خلالها أن أقوى قبائل العرب أصبحت تطلب الاسلام لتحتمي به من اعتداء المعتدين

(وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله)

سرية عيينة بن حصن الفزاري الى تميم

بعثه رسول الله ﷺ اليهم في سرية ليغزوهم في خمسين فارسا ليس فيهم انصاري ولا مهاجري ، فهجم عليهم وقد سرحوا مواشيهم ، فلما رأوا الجمع ولوا فأخذ منهم أحد عشر رجلا وعشرين امرأة وثلاثين صبيا . فساقهم الى المدينة فأنزلوا في دار رملة بنت الحرث ، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم مثل عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس ، فلما رأوا نساءهم وذراريهم بكوا اليهم ، فعجلوا فجاءوا باب النبي فنادوا من وراء الحجرات يامحمد اخرج الينا وأنزل الله فيهم قوله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) . الآية ، فخرج فتعلقوا به يكلمونه ، فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب ، فأمر رسول الله ثابت بن قيس فأجابهم

فرد عليهم النبي الاسرى والسبي ، فقام الزبرقان بن بدر فأنشد مفاخرا قصيدته التي أولها .

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

فقام حسان بن ثابت فأجابه على البديهة بقصيدته التي أولها :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

فلما فرغ حسان قال الاقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ، ثم أسلموا فأجازهم رسول الله فأحسن جوائزهم .

حج الصديق وأنذار المشركين بسورة براءة

كان رسول الله حين قدم من تبوك قد ذكر مخالطة المشركين للناس في حجهم ، وتلبيتهم بالشرك ، وطوافهم عراة بالبيت ، وكانوا يقصدون بذلك أن يطوفوا كما ولدوا بغير الثياب التي أذنبوا فيها وظلموا ، فابث بقية رمضان وشوال وذا القعدة وأمسك عن الحج في ذلك العام ، وبعث أبا بكر أميرا على الحج ليقيم للمسلمين حجهم ، وبسورة براءة لينبذ إلى الذين نكثوا العهود عهودهم ، ويؤجلهم أربعة أشهر ، ليسيروا أين شاءوا ، وهم هذا الحي من قريش ، وبنو الديل من بكر بن عبد مناة ، الذين دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، وليتم العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر الى مدته (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) .

وكان بين المشركين وبين النبي من العهد ألا يصدوا عن البيت أحدا جاءه ، وألا يخيفوا أحدا في الشهر الحرام ، لكنهم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وصدوا عن سبيل بيت الله بحصر الحجاج والعمار ، ولم

يرقبوا فى مؤمن إلا ولاذمة ، فكانوا هم المعتدين ، واستحقوا هذا الانذار الذى يعلن أهل الغدر بالغدر (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ، وأهل الوفاء بالوفاء (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)

ولما خرج أبو بكر لهذا الغرض أردفه رسول الله بعلى ، فرجع أبو بكر وقال : يارسول الله هل نزل فىّ قرآن ؟ قال لا ، ولكن أردت أن يبلغ عني من هو من أهل بيتى ، وهذا مخصوص بالعهود ، فان من عادات العرب الا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ، وعلى ذلك كان أبو بكر أمير الحج ، وكان على تحت إمرته ، يدل على ذلك أنه لما دنا علىّ سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول رسول الله ، فلما لحقه ، قال : أميرأم مأمور ؟ قال بل مأمور ، ثم مضيا ، ولما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدث الناس عن مناسكهم ، وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة وقال يأيها الناس انى رسول رسول الله اليكم . فقالوا بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من صدر براءة ، ثم قال أمرت بأربع : الايقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولايدخل الجنة الاكل نفس مؤمنة ، ومن كان بينه وبين النبي عهد فعهده الى مدته ، ومن لم يكن له عهد فهو الى أربعة أشهر . (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر ـ فاذا أنسلخ الاشهر الحرم ...)

وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى : سترون بعد الاربعة الأشهر أنه لاعهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب . غير أنهم فى هذه المدة رغبوا فى الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها ،

وحج رسول الله فى العام القابل ، وحج المسلمون معه ؛ وقد عاد الدين كله واحدا لله رب العالمين . ولم يحج فى حجة الوداع مشرك .

وهذا هو سر الانذار بهذه السورة المباركة التى هدمت قوى المشركين وردعتهم ، فرعبوا وأنابوا الى الله ؛ إذ علموا أن لا ملجأ من الله إلا اليه .

سنة الوفود وهى سنة ٩

لما افتتح رسول الله مكة ، وفرغ من تبوك ؛ وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه ؛ وكان ذلك سنة تسع ، وانما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ، وذلك أن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم . وأهل البيت والحرم ؛ وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ؛ وقادة العرب لاينكرون ذلك — وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله وخلافه ؛ فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ودوخها الاسلام ، عرفت العرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله أفواجا ، يضربون اليه من كل وجه كما بينه الله لنبيه فى سورة اذا جاء نصر الله والفتح .

وكانت الوفود بعد رجوعه ﷺ من الجعرانة فى آخر سنة ثمان ومابعدها من سنة تسع وعشر . وروى انها ابتدأت بعد غزوة تبوك ، ومجموع ماذكره أهل السير يزيد على الستين وسنقتصر على مارأيناه أهم

فأول الوفود وفد هوازن بالجعرانة وقد سبق بيانه ؛ ثم وفد ثقيف بعد قدوم النبى من تبوك ؛ ثم وفد تميم وقد مضى بيانهما .